بعض ما قيل في

المولد النبوي الشريف

هل نحتفل

- نعم نحتفل في كل سنة
- وفي كل شهر وفي كل يوم
- وفي كل ساعة وفي كل لحظة

إعداد

دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية - دبي

تقديم وتعليق

خادم العلم الشريف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام

كان الله له ولوالديه ولمشايخه



الطبعة الخامسة

1437 هـ - 2015 م

ISBN: 978-9938-14-019-4

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للهِ ربّ العالمين والصلاة والسلام على النعمة المهداة والرحمة المسداة وعلى آله وصحبه السادات وعلى كل من اهتدى بهديهم إلى يوم المجازاة.

أما بعد،،،

فاعلم أخي المؤمن أن من أهم أسباب الإيمان الاقتداء المطلق بسيرة سيد الأنام عليه من الله أفضل صلاة وأزكى سلام، لذا كان لزاماً علينا التنبيه لولادته والإشارة لمكانته؛ وذلك مصداقاً لما قد رواه أحد صحابته أبو قتادة الأنصاريُّ المرضيُّ الذي عُرف بنباهته أن رسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ؟ قَالَ: (ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ)"رواه مسلم" ، فانظر أخي المؤمن وتمعن وتمحَّص في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: (ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ)، ثم أردف صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بقوله: (بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ

فِيهِ)، وذلك لمزيد اهتمام السامع بولادته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ ثم ما نتج عن تلك الولادة المشرفة من الخيرات الدنيوية والأخروية، وهو ما يشير إليه سياق الحديث من الولادة ثم البعث ثم نزول القرآن، وقد قال شيخ شيوخنا محمد عبد الحي الكتاني رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه المسمى بـ (التآليف المولدية): "أردنا أن نصارح المطالع المدقق بأن الرجل الخرِّيت لو جال وأطال الترحال وكشف عن ساعده تنقيباً وبحثاً في خزائن الأرض طولها وعرضها لم يجد في البشر على اختلاف وجوه العظمة والإكبار من تتبع الناسُ لوقائع الميلاد وحوادث الوفاة وشتى الحركات والسكنات وأحوال الإقامة والتنقلات وأطوار الغضب والرضى ووقائع السلم والحرب والعطاء والمنع والتحريم والتحليل غيرَ فردٍ واحدٍ في العالم الإنساني هو نبي المرسلين وحبيب رب العالمين عليه من الله أفضل صلاةٍ وأزكى تسليم، بحيث لو قُدِّرَ لدولةٍ من الدول أن تجتهد في جمع كل ما كتب عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ لجمعت من ذلك مكتبةً عظيمةً لا تقل عن أعظم مكاتب العالم، هذا زيادةً على ما ضاع وضُيِّعَ وما أحرقه

أعداؤه في وقعة التتار واستيلاء الأسبان على الأندلس"، قال الحافظ شمس الدين السخاوي في كتابه المسمى (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ): "أنه لو حصل التصدي لجمع اسم كل من كَتَبَ في السيرة النبوية لكان في عشرين مجلداً فأكثر"، وقول السخاوي هذا لحين وفاته في أوائل القرن العاشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال شيخ شيوخنا: "فإذا زدت عليه ما كُتب بعده في هذه القرون انجلى لك الأمر على حقيقة ما ذكرنا سابقاً" ا.هـ.

قلت: ولو أضفنا ما سيُكتب في المستقبل لما كان بعد البيان بيان، ويكفيك أن العائلة الكِتَّانية وحدها حازت على شرف أكثر من مِائة مؤلف في عدة مجلدات ضخمة تحتوي غالب مناقبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وإن دلَّ هذا الصنيع على شيء إنما يدل على اهتمام المسلمين المؤمنين بشؤون نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ اهتماماً لم يشاركهم فيه أحدٌ من أهل الشرائع الأخرى، وها هي خزائن الأرض مفتوحة في وجوه المطالعين والمتتبعين لتاريخ البشرية من لدن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى يومنا هذا، فهل يجد المطالع المنصف الصادق

مثل هذا أو بعضه للنصارى واليهود في أنبيائهم عليهم السلام، وهل يجد المطالع المنصف الصادق للأمم الأخرى ذلك في زعمائهم قاطبة؟ الجواب: لا... لا... لا... وألف لا، فكان من الفرض الواجب علينا وحرصاً منا على تبيان بعض الحقائق التي ابتعد عنها كثيرٌ من المسلمين بسبب بعض المتطفلين على موائد الفقهاء والمُحدِّثين، والذين لم يكن لهم نصيبٌ من تلقي العلوم، وفهم القواعد والأصول الحديثية والفقهية، غير أنهم شغبوا على العلماء من سلف الأمة وخَلَفِها حنفية كانوا أو مالكية أو شافعية أو حنابلة أو غيرهم من أهل الحق الذين أجادوا في إظهار مناقب سيد الأولين والآخرين عليه من الله أفضل صلاة وأزكى تسليم، لذا تم اختيارنا لهذه الرسالة الظريفة المنيفة لما تحويه من أدلة صريحة نظيفة في هذا المقام، شاكرين لدولة الإمارات السَنية ما لها من أيادٍ بيضاء سُنيَّة في نصرةِ الفرقة الناجية المرضية معترفين لهم بهذه المزيّة بسُنيَّة الاحتفال بمولد سيد البريَّة عليه من الله أفضل سلام وأزكى تحيَّة، والحمد لله تتراً كل فجرٍ وعشيَّة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على خير خلقه الذين اصطفى، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واقتفى، يقول المولى عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾"الأحزاب: آية 70"، ويقول المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ)"رواه البخاري ومسلم".

أما بعد،،،

فإن الواجب على كل مسلمٍ أن يُبيّن الحقائق للناس حتى يسيروا على بصيرة وهدى، وليس على عمىً وتضليل، فالحق أبلج كالشمس في رابعة النهار، وهذا أوان الشروع في الموضوع: فإننا نسمع ونرى في هذه الأيام تلك الوريقات، والتي شحنت بالأكاذيب والأباطيل والتدليس على البسطاء وقليلي الفهم والعلم من عامة الناس حول

ما يختص بالمولد النبوي الشريف، فوجب على من لديه القدرة على التبيين أن يبين؛ حتى لا يدخل في الوعيد الوارد في طلبة العلم.

جهلٌ وقلة علم

يقول المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)"رواه مسلم"، ويقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: (وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكَلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)"رواه أبو داود".

قال المعارض: "إن لفظة (كُلَّ) الواردة في الحديث من ألفاظ العموم تشمل جميع أنواع البدع بدون استثناء... فهي ضلالة"، وبقولهم وتجرئهم هذا هم يرمون علماء الأمة بالابتداع، وعلى رأسهم سيدنا عمر رضي الله عنه، **فإن قلتم**: إننا لم نقصد صحابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ، **قلنا لكم**: بل قصدتم، وذلك بقولكم الآخذ بتلابيبكم: جميع أنواع البدع بدون استثناء، **فإن**

قلتم: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أقره على ذلك...، **نقول لكم**: سوف نأتيكم بأفعالٍ أخرى فعلها الصحابة والتابعون بعد وفاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فهل تتهمونهم بالبدعة والضلال... أم ماذا؟!، فإليكم أفعالهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

1- **جمع القرآن**: حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "قُبض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولم يكن القرآن جُمع في شيء" "فتح الباري"، **نقول**: عمر هو الذي أشار على أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بجمع القرآن في مصحف، حيث كثر القتل بين الصحابة في واقعة اليمامة، فتوقف أبو بكر رضي الله عنه وقال: "كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؟"، قال عمر رضي الله عنه: "هو والله خير" – **انظر إلى قوله: هو والله خير**–، فلم يزل عمر رضي الله عنه يراجعه حتى شرح الله صدره له، وبعث إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه فكلفه بتتبع القرآن وجمعه، قال زيد: " فوالله لو كلفوني نقل

جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن"، ثم قال: "كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ؟"، قال أبو بكر رضي الله عنه: "هو والله خير"، ثم قال: " فلم يزل يحث مراجعتي حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر " "رواه البخاري".

2- **تأخير مقام سيدنا إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **عن البيت:** أخرج البيهقي بسند قوي عن السيدة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها قالت: "إن المقام كان في زمن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وفي زمن أبي بكر ملتصقاً بالبيت، ثم أخّره عمر"، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: "ولم تنكر الصحابة فعل عمر رضي الله عنه، ولا من جاء بعدهم فصار إجماعاً...، وكذلك هو أول من عمل عليه المقصورة الموجودة الآن..." ا.هـ.

3- **زيادة الآذان الأول يوم الجمعة**: ففي صحيح البخاري عن السائب بن زيد قال: (كان النِّداءُ يومَ الجُمعةِ أَوَّلهُ إِذا جَلسَ الإِمامُ على المِنبَرِ على عهدِ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وأبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُ عَنۡهُمَا، فلمّا كانَ عثمانُ رضي الله عنه، وكثُرَ الناسُ، زادَ النداءَ الثالثَ...)، باعتبار إضافته إلى الأذان الأول والإقامة، ويقال له: أول باعتبار سبقه في الزمان على أذان الجمعة، ويقال له: ثاني بإسقاط اعتبار الإقامة.

4- **الصلاة على النبي** صَلَّىٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: التي أنشأها سيدنا علي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وكان يعلمها للناس، ذكرها سعيد بن منصور وابن جرير في (تهذيب الآثار) وابن أبي عاصم ويعقوب بن شيبة في أخبار علي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ والطبراني وغيرهم عن سلامة الكندي.

5- ما زاده ابن مسعود رضي الله عنه في التشهد بعد (ورحمة الله وبركاته): كان يقول: "السلام علينا من ربنا" "رواه الطبراني في المعجم الكبير، والهيثمي في مجمع الزوائد".

6- زيادة عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **البسملة في أول التشهد**: وكذلك ما زاده في التلبية بقوله: "لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ" "رواه مسلم"، وهو مبسوط في صحيحي البخاري ومسلم إلى غير ذلك من زيادات الصحابة وعلماء وفضلاء الأمة.

فكل هؤلاء ابتدعوا أشياء رأوها حسنة لم تكن في عهد المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وهي في العبادات، فما قولكم فيهم؟، وهل هم من أهل الضلال والبدع المنكرة أم ماذا؟، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾"الأنعام: من الآية: 143".

أما ادعاؤكم الباطل بأنه لا يوجد هناك في الدين شيء يسمى بدعة حسنة، فإليكم أقوال جهابذة علماء الأمة والذين يعوَّل على كلامهم، فضلاً عن حثالة ليس لها غرض إلا التفريق بين المسلمين وإشعال نار الفتن بينهم في الوقت الذي نحن فيه بحاجة إلى جمع شتاتهم:

1- **روى الحافظ أبو نُعيم (ت 430هـ) عن إبراهيم الجنيد قال:** سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: "البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم" ا.هـ.

2- **روى الحافظ البيهقي (ت 458هـ) في مناقب الشافعي** رضي الله عنه **قال:** "المحدَثات ضَربان: ما أُحدث مما يخالف كتاباً أو سنةً أو أثراً أو إجماعاً فهذه بدعة الضلال وما أُحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا" ا.هـ.

3- قال سلطان العلماء الحافظ العز بن عبد السلام (ت 660 هـ) رضي الله عنه **في آخر كتابه (القواعد) ما نصه**: "البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة"، قال: "والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في قواعد الإيجاب فواجبة أو في قواعد التحريم فمحرمة أو الندب فمندوبة أو المكروه فمكروهة أو المباح فمباحة" ا.هـ.

4- قال الحافظ النووي (ت 676هـ) رضي الله عنه **في شرحه صحيح مسلم (21/6) ما نصه**: "قول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (كل بدعة ضلالة...)، هذا عام مخصوص، والمراد: غالب البدع، وقال أهل اللغة: هي كل شيء عُمِل على غير مثال سابق، وهي منقسمة إلى خمسة أقسام.

وقال كذلك في (تهذيب الأسماء واللغات): "البِدعة بكسر الباء في الشرع: هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة"، وقال أيضاً: "والمُحدَثات -بفتح الدال- جمع محدَثة، والمراد بها: ما أُحدث وليس له أصل في الشرع، ويُسمى في عُرف الشرع بدعة، وما كان له أصلٌ يدل عليه الشرع فليس ببدعة، فالبدعة في عُرف الشرع مذمومة، بخلاف اللغة فإن كل شيء أُحدِث على غير مثال يسمى بدعة سواءً كان محموداً أو مذموماً" ا.هـ.

5- **وقال ابن حجر العسقلاني خاتمة الحفاظ والشراح (ت 852هـ)**: "وكل ما لم يكن في زمنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يسمى بدعة، لكن منها ما يكون حسناً ومنها ما يكون خلاف ذلك" ا.هـ.

فهؤلاء ممن ذكرنا قد قسموا البدعة إلى أقسامها المذكورة.

فانظر بالله عليك أخي المسلم، أين قولهم: أن لفظة (كُلّ) من ألفاظ العموم تشمل كل أنواع البدع دون استثناء من قول هؤلاء الأئمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وعلى رأسهم الإمام الحافظ النووي حيث قال: إن

لفظ (كُلَّ) هو عام مخصوص، وأين قولهم: إنه ليس ثَمَّ شيء في الدين يسمى بدعة حسنة، وقول أئمة المسلمين كما رأيت وعلى رأسهم الإمام الجليل صاحب المذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، بل وقد تقرر عند العوام فضلاً عن العلماء من قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم: (من سنَّ في الإسلام سنةً حسنة فيُعمل بها بعده كُتب له أجر من عمِل بها ولا ينقص من أجورهم شيء...) أنه يُسن للمسلم أن يأتي بسُنَّةٍ حسنةٍ وإن لم يفعلها الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من أجل زيادة الخير والأجر، ومعنى سَنَّ سُنَّة: أي أنشأها باجتهاد واستنباط من قواعد الشرع أو عموم نصوصه، وما ذكرناه من أفعال الصحابة والتابعين هو أكبر دليل على ذلك.

نشأة الاحتفال بمولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

مهدَّ المُغرضون لنشر باطلهم ولو بالتدليس كعادتهم على عامة المسلمين وقليلي الفهم منهم، حيث قالوا بالحرف الواحد: "إن الحافظ ابن كثير ذكر في البداية والنهاية (172/11) أن الدولة الفاطمية العبيدية المنتسبة إلى عبيد الله بن ميمون القداح اليهودي والتي حكمت مصر من سنة (357-567هـ) أحدثوا احتفالات بأيامٍ كثيرة، ومنها الاحتفال بمولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ" ا.هـ، هذا ما نقلوه عن الحافظ ابن كثير، **وحسب المرجع الذي أشاروا إليه نقول لهم**: **كذبتم والله!!**، فإننا وجدنا ما ادعيتموه على الحافظ وما نقلتموه عنه إنما هو عين الكذب والافتراء والتدليس والخيانة في النقول عن علماء الأمة، وإن كنتم مُصرين على ذلك فنقول لكم: أخرجوه لنا إن كنتم صادقين.

وأين أنتم من ادعائكم بأنكم ستناقشون هذه القضية بعدل وإنصاف وتجرد عن كل هوى، بل إنه عين التعصب المخزي والهوى الممقوت، فكيف نأمن بعد ذلك أخي المسلم لمثل هؤلاء في نقولهم عن علماء الأمة.

وإليك أخي المسلم ما نقله الحافظ ابن كثير في عمل المولد ونشأته والذي أخفاه من يدَّعي مناقشة الموضوع بعدل وإنصاف:

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: "الملك المظفر أبو سعيد كوكبري، أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأمجاد، له آثار حسنة"، انظر إلى قوله: "آثار حسنة"، "وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً عاقلاً عالماً عادلاً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأحسن مثواه..." إلى أن قال: "وكان يصرف في المولد ثلاثمائة ألف دينار" ا.هـ.

فانظر رحمك الله إلى هذا المدح والثناء عليه من ابن كثير إذ إنه وصفه بأنه عالم عادل شهم شجاع، إلى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأحسن مثواه"، ولم يقل: "زنديق فاجر فاسق مرتكب للفواحش والموبقات" كما هي دعوى المعارض فيمن يقول بعمل المولد الشريف!!، وأحيل القارئ إلى نفس المرجع فهناك كلام أعظم مما ذكرت في حق الإمام الجليل لم أنقله خوف الإطالة.

وانظر إلى قول الإمام الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء عند ترجمة الملك المظفر ما نصه:" كان متواضعاً خيِّراً سَنِياً، يحب الفقهاء والمحدثين" ا.هـ.

أقوال بعض أهل العلم والحفاظ في الاحتفال بالمولد

1- **الحافظ ابن الجوزي (ت 597هـ)**: حيث قال في المولد الشريف: "إنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البُغية والمرام".

2- **الحافظ ابن دِحية (ت 633هـ)**: وسمى كتابه (التنوير في مولد البشير والنذير) صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وقدّمه للملك المظفر ملك إربل الذي كان يحتفل بليلة مولده صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يومها احتفالاً ما سُمع بمثله، فأجازه عليه جائزة عظيمة.

3- **الحافظ أبو شامة (ت 665هـ): شيخ الحافظ النووي قال في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) ما نصّه**: "ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل في كل عام في اليوم الموافق لمولده صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مشعرٌ بمحبته صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه في

قلب فاعل ذلك، وشكراً لله تعالى على ما مَنَّ به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين" ا.هـ.

4- **قول ابن تيمية (ت 728هـ)** في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم: **والذي يعتمد عليه المعترضون على المولد من القرن الثاني عشر حتى اليوم حيث قال**: "وكذلك ما يُحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإما محبة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وتعظيماً له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد"، قال: "فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له وعدم المانع له" ا.هـ.

هذا قول من ترك التعصب جانباً وتكلم بما يُرضي الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، أما نحن فلا نفعل المولد إلا كما قال: "محبة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وتعظيماً له" والله قد يثيبنا على هذه المحبة والاجتهاد ولله در القائل:

دَعْ مَـــا ادَّعتـــهُ النصـــارَى في نَبـــيِّهِمُ

وَاحكمْ بما شئتَ مـدحاً فيـهِ واحـتَكِمِ

وانسُـــبْ إلى ذاتِـــهِ مـــا شـــئتَ مـــن شَرَفٍ

وانسُـــبْ إلى قَـــدْرِهِ مـــا شـــئتَ مِـــنْ عِظَـــمِ

فَـــإِنَّ فَضْـــلَ رســـولِ اللهِ لـــيسَ لَهُ حَـــدٌّ

فَيُعْـــــرِبَ عنـــــهُ نَـــــاطِقٌ بِفَـــــمِ

5- **الحافظ محمد بن أبي بكر عبد الله القيسي الدمشقي (ت 751هـ)**: حيث ألف كُتباً في المولد الشريف ومنها (جامع الآثار في مولد النبي المختار) صلوات الله وسلامه عليه.

6- **الحافظ العراقي (ت 806هـ)**: وقد سمى كتابه في المولد النبوي (المورد الهنيّ في المولد السنيّ).

7- **الحافظ شمس الدين ابن الجزري (ت 833هـ)**: إمام القُـرّاء وصاحب التصانيف التي منها (النشر في القراءات العشر): وسمى كتابه (عَرف التعريف بالمولد الشريف).

8- **الحافظ شمس الدين ناصر الدمشقي (ت 842هـ)**: هو صاحب كتاب (المورد الصادي في مولد الهادي) صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو القائل في أبي لهب:

إذا كانَ هــذا كافــرٌ جــاءَ ذمُّــه وتبَّــتْ

يـــــداهُ في الجحـــــيمِ مخـــــلَّدَا

أَتى أنَّـــه فِي يـــومِ الاثنـــينِ دائمـــاً

يخفَّـــفُ عنـــهُ للـــسرورِ بأحمَـــدَا

فَمَـــا الظَّـــنُّ بالعبـــدِ الذي طـــولَ عمـــرِهِ

بأحمَـــدَ مـــسروراً وَمَـــاتَ موَحِّـــدَا

9- **خاتمة الحفاظ والشراح ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)**: قال الحافظ السيوطي: "وقد سُئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصّه: "أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها

المحاسن وتجنب ضدها كانت بدعةً حسنة، وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللّه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَاماً يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا هَـذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟) فَقَالُوا: هٰذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى اللُّه فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْراً، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ) فَصَامَهُ رَسُولُ اللّه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ "رواه مسلم"، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نِقمة..." إلى أن قال: "وأيُّ نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نبيِّ الرحمة في ذلك اليوم، فهذا ما يتعلق بأصل عمله، وأما ما يُعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يُفهِم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم من التلاوة والإطعام

والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المُحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة" ا.هـ "الحاوي للفتاوي"

فهذه الاستنباطات هي التي قال عنها المعارض أنها استدلال باطل وقياس فاسد وأنكرها فليت شعري من الناكر ومن المنكور عليه !!!

10- **الحافظ جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) حيث قال**: "وقع السؤال عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول، ما حكمه من حيث الشرع؟، وهل هو محمود أم مذموم؟، وهل يثاب فاعله أم لا؟، والجواب عندي: أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في بداية أمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وما وقع في مولده من الآيات ثم يُمدّ لهم سُماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع

الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيها من تعظيم قدر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وإظهار الفرح بمولده الشريف" "الحاوي للفتاوي"

11- **الحافظ الشهاب أحمد القسطلاني شارح البخاري (ت 923هـ)**:

حيث قال في كتابه (المواهب اللدنية) ما نصّه: "فرحم الله امرأً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً ليكون أشدُّ علة على من في قلبه مرض وإعياء داءً" ا.هـ.

12- **الحافظ مُلا علي القاري (ت 1014هـ)**: فقد ألف كتاباً في المولد النبوي العطر أسماه (المورد الرويّ في المولد النبويّ).

قال سيدي أحمد بن الصديق الغماري (ت 1380هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"وأول من علمته ألَّفَ في المولد النبوي الشريف محمد بن عمر الواقدي صاحب المغازي وكُتب الفتوح، المتوفى سنة ست وقيل تسع ومائتين (206 أو 209) وله في ذلك كتابان كتاب (المولد النبوي)

وكتاب (انتقال النور النبوي) كما ينقله السهيلي في (الروض الأنف)".

وكذلك ألَّفَ في المولد من الأقدمين الحافظ أبو عبد الله محمد بن عائذ صاحب (السيرة المشهورة) (ت 233هـ) والحافظ أبو بكر بن أبي عاصم صاحب التصانيف الكثيرة (ت 287هـ)، وكذلك ممن ألَّفَ وتكلم في المولد الإمام الحافظ السخّاوي، والإمام الحافظ وجيه الدين بن علي بن الديبع الشيباني الزبيدي وغيرهم الكثير ممن لا يتسع المجال لاستقصائهم.

فبالله عليك أخي المسلم هل كل هذا الكمِّ من علماء الأمة وفضلائها والذين يقولون بعمل المولد وألَّفوا الكتب والمؤلفات في هذا الباب زنادقة أحفاد عبد الله بن سبأ اليهودي؟؟؟! وهل هؤلاء العلماء والذين يدين لهم العالَم بأجمعه على ما صنفوه من الكتب النافعة في الحديث والفقه والشروحات وغيرها من العلوم هم من

الفجّار مرتكبي الفواحش والموبقات؟؟؟! وهل هم كما يزعُم المعارض يشابهون النصارى في احتفالاتهم بميلاد عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؟؟؟! وهل هم يقولون بأن المصطفى صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يُبَلِّغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به؟؟؟! إننا نترك الإجابة على هذه الأسئلة لك أخي المسلم.

ادّعاءٌ باطل

قال المعارض: "لو كان الاحتفال بالمولد من الدين لبَيَّنهُ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ للأمة أو فعله في حياته أو فعله أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولا يقول قائل أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يفعله تواضعاً منه، فإن هذا طعنٌ فيه عليه الصلاة والسلام" انتهى كلام المعارض.

والجواب: "إنَّ كل ما لم يفعله الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أو الصحابة من بعده لا يُعتبر تركهم له تحريماً، والدليل على ذلك قول المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:(مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً...)"رواه مسلم"، وفيه أكبر دليل على الترغيب في إحداث كل ما له أصل من الشرع وإن لم يفعله المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته رضوان الله عليهم، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: "كل ما له مستند من

الشرع فليس ببدعة ولو لم يعمل به السلف؛ لأن تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت أو لِما هو أفضل منه أو لعله لم يبلغ جميعهم علمٌ به" ا.هـ.

فمن زعم تحريم شيء بدعوى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يفعله فقد ادعى ما ليس له دليل وكانت دعواه مردودة.

ونحن نقول لكم: بناءً على القاعدة التي أصلّتّموها وهي (أنّ مَن أحدث ما لم يفعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه قد ابتدع في الدين) يفهم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يُكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يُبَلِّغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به، ولا يقول أو يعتقد ذلك إلا مارقٌ عن دين الله.

نقول: "من فمك ندينك" فقد أحدثتم في أصل العبادات مسائل كثيرة لم يفعلها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولا الصحابة ولا التابعون ولا حتى تابعو التابعين، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

1- جمع الناس على إمام واحد لأداء صلاة التهجد بعد صلاة التراويح في الحرمين الشريفين وغيرهما من المساجد.

2- قراءة دعاء ختم القرآن في صلاة التراويح وكذلك في صلاة التهجد.

3- تخصيص ليلة 27 من رمضان لختم القرآن في الحرمين.

4- قول المنادي بعد صلاة التراويح: "صلاة القيام أثابكم الله".

5- القول بأن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية وتوحيد أسماء وصفات، فهل هذا حديث شريف أو قول أحد من الصحابة أو أحد من الأئمة الأربعة؟؟؟!

إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال لذكره من تخصيص هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجامعات إسلامية، وجمعيات لتحفيظ القرآن، ومكاتب دعوة وإرشاد، وأسابيع احتفال المشايخ، ومع ذلك

فنحن لا ننكر هذه الأشياء إلا أنها من البدع الحسنة التي ينكر هؤلاء القوم على من يفعل أمثالها ثم يفعلونها.

ففعلكم لهذه المبتدعات التشريعية التي لم يفعلها الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ فيه تعارض واضح مع قاعدتكم التي تقول: إن العبادات توقيفية، وإن كل ما لم يفعله الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ ولا أصحابه فهو بدعة سيئة، فلربما تكونوا ممن أُذِن لكم بالتشريع من دون الناس!!!، وجنت على نفسها براقش!!!.

ادَّعى المعارض أنَّ أكثر من يحيي هذه الموالد هم من الفسقة والفجّار، وهذا كلام ساقط إن دلَّ فإنما يدل على معدن قائله، وهو غيضٌ من فيض، وليس لنا من جواب عليه إلا قول المولى عزَّ وجل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾"البقرة: من الآية 111"، وهل كل من ذكرناهم من الأئمة الأعلام في نظر المعارض من الفسقة

والفجّار؟؟؟! لا أستبعد أن يقول بذلك!!! سبحانك هذا بهتان عظيم، نقول كما قال القائل:

وإذا أراد الله نـــــشر فضـــــيلةٍ طويـــــتْ

أتـــاحَ لهـــا لِسَـــانَ حسُـــودِ

إشكالاتٌ عند المعارض

استشكل على المعارض -هداه الله- بعض الألفاظ وادعى أنها شركيات ومنها قول العارف بالله الإمام البوصيري:

يـــا أكـــرمَ الخلـــقِ مَـــالِي مَـــنْ ألـــوذُ بِـــهِ

سِـــوَاكَ عنـــدَ حلـــولِ الحَـــادِثِ العَمِـــمِ

ولا ندري كيف حصل لديه هذا الإشكال وكيف لم يتمعن في قول الإمام البوصيري عند حلول الحادث العمم، وبدورنا نحن نسأل القارئ ما هو الحادث العَمِم؟!

العَمِم: أي الذي يَعُمّ الكون بأسره من إنسٍ وجنٍ بل وجميع الخلائق، فلن يخطر ببال أي إنسان إلا أن يكون هذا الحادث هو يوم القيامة، وبعد إيضاح هذا الإشكال لدى المعارض والقارئ يكون المراد من قول الإمام البوصيّري هو: طلب الشفاعة منه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، وذلك لأنه ليس لنا أحد نلوذ به ونتوسل به ونستشفع به إلى الله سوى خيرِ البريّة عليه الصلاة والسلام في ذلك المقام الذي يقول فيه الرسل والأنبياء: نفسي نفسي، ويقول هو عليه الصلاة والسلام: أنا لها أنا لها، وبهذا يظهر أن ما استشكله المعارض مردودٌ عليه ودالٌّ على جهله وذلك بسبب عمى البصر والبصيرة، نسأل الله العافية.

ومثالٌ آخر لمثل هذا القول المُشكل عند العامة من الناس ما نقله الإمام الجليل الكمال بن الهمام الحنفي صاحب (فتح القدير في

مناسك الفارسي) و (شرح المختار) من السادة الأحناف لمَّا زار الإمام أبو حنيفة المدينة وقف أمام القبر الشريف وقال:

يـــا أكـــرَمَ الثقلـــين يـــا كَـــنْزَ الـــورى

جُـــد لي بجـــودك وارضِـــني بِرضـــاكَ

أنـــا طـــامعٌ في الجـــودِ مِنْـــكَ ولـــم يَكُـــنْ

لأبي حنيفـــــةَ في الأنـــــام ســـــواكَ

نوايا خبيثة

يقول المعارض: إنه يحصل في المولد اختلاط الرجال بالنساء، واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المُسكرات، وإنَّ هذا لكذب مبين، والله لقد حضرنا مئات الموالد فلم نرَ اختلاطاً ولم نسمع معازف، أما شرب المُسكرات فنعم رأينا سكراً ولكن ليس كسُكرِ أهل الدنيا، وجدنا سُكرَ المحبة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ذلك السُكر الذي يغلب حتى على سكرات

الموت كما حصل لسيدنا بلال رضي الله عنه عندما حضرته المنيّةُ حين امتزجت حلاوة المحبة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مع سَكرات الموت، حتى غلبت عليها سكرات المحبة فكان يقول وهو في تلك السكرات: "غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه".

جهلٌ فاضح

يقول المعارض: إنَّ يوم ولادته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هو نفس يوم وفاته، فالفرح فيه ليس بأولى من الحزن، ولو كان الدين بالرأي لكان اتخاذ هذا اليوم مأتماً ويوم حزن؟.

ونقول: ما شاء الله على هذه الفصاحة العرجاء، والتي سيجيبكم عليها الإمام العلامة جلال الدين السيوطي حيث قال ما نصّه: "إنَّ ولادته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أعظم النعم، ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعة حثّت على إظهار شكر النعم، والصبر والسكون عند

المصائب والأحزان، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة وهي إظهار شكر وفرح بالمولود، ولم يأمر عند الموت بذبح عقيقة ولا بغيره، بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع، فدلّت قواعد الشريعة على أنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ دون إظهار الحزن فيه بوفاته، وقد قال ابن رجب الحنبلي في كتابه (اللطائف) -في ذم الرافضة-: "حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لأجل مقتل الحُسين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، ولم يأمر الله ولا رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف ممن هو دونهم وإن كان المصاب جلل" "الحاوي للفتاوي".

الخاتمة

وفي الختام: نختم قولنا بحديث المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه عن حُذَيفة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: ﴿إنّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حتَّى إذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رِدْئاً للإِسْلامِ غَيَّرَهُ إلَى مَا شَاء اللَّهُ، فانْسَلَخَ مِنْهُ ونَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بالسَّيْفِ وَرَمَاهُ بالشِّرْكِ﴾، قالَ: قُلْتُ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلى بالشِّرْكِ، المَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟ قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: ﴿بَلِ الرَّامِي﴾"رواه ابن حبان".

فوائد مضافة

فائدة (1)

قال الإمام الحسن البصري (ت 110هـ) قدسّ اللهُ سِرَّه: "وددتُ لو كان لي مثل جبل أُحُد ذهباً لأنفقتُه على قراءة مولد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ" ا.هـ.

قال الإمام معروف الكرخي (ت 200هـ) قدس الله سرَّه: "من هيأ لأجل قراءة مولد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ طعاماً وجمع إخواناً وأوقد سراجاً ولبس جديداً وتعطر وتجمل تعظيماً لمولده صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ حشره الله تعالى يوم القيامة مع الفرقة الأولى من النبيين، وكان في أعلى عليين، ومن قرأ مولد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ على دراهم مسكوكة فضةً كانت أو ذهباً وخلط تلك الدراهم مع دراهم أخَر وقعت فيها البركة، ولا يفتقر صاحبها ولا تفرغ يده ببركة مولد سيدنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ" ا.هـ.

وقال الإمام السري السقطي (ت 253هـ) قدس الله سرَّه: "من قصد موضعاً يُقرأ فيه مولد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقد قصد روضة من رياض الجنة؛ لأنه ما قصد ذلك الموضع إلا لمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (من أحبني كان معي في الجنة)" ا.هـ.

قال الإمام الجنيد البغدادي (ت 297هـ) قدس الله سرَّه: "من حضر مولد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وعظَّم قدره فقد فاز بالإيمان" ا.هـ.

قال الإمام اليافعي اليمني (ت 768هـ) رضي الله عنه: "من جمع لمولد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إخواناً وهيأ طعاماً وأخلى مكاناً وعمل إحساناً وصار سبباً لقراءة مولد الرسول عليه الصلاة والسلام بعثه الله يوم القيامة مع الصديقين والشهداء والصالحين ويكون في جنات النعيم" ا.هـ.

فائدة (2)

جرت العادة أن الناس إذا سمعوا ذكر وضعِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقومون تعظيماً له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا القيام مُستحسَن لما فيه من تعظيم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد فعل ذلك كثير من علماء الأمة الذين يقتدى بهم.

قال الحلبي في السيرة: "فقد حكى بعضهم أن الإمام السُبكي اجتمع عنده كثيرٌ من علماء عصره فأنشد منشده قولَ الصرصري في مدحه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

قَليـــلٌ لِمَـــدْح المُصْـــطَفى الخَـــطُّ بِالذَّهَـــبِ
على وَرِقٍ مِـــنْ خَـــطِّ أَحْسَـــنِ مَـــنْ كتَـــبْ
وأَنْ تَـــــنْهَضَ الأَشْرَافُ عِنْـــــدَ سَـــــمَاعِهِ
قِيَامَـــاً صُـــفُوفَاً أَوْ جثِـــياً على الرُّكَـــبْ

فعند ذلك قام الإمام السُبكي وجميع مَن بالمجلس فحصل أُنسٌ كبيرٌ في ذلك المجلس، قلت: هذا قول علمائنا وأسيادنا ممن يعوَّلُ عليهم في الفقه والنقل عن المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، فبالله عليكم أخبرونا من هم أسيادكم وعلماؤكم؟؟؟!

ملاحظة:

ما كنت أود أن أنقل شيئاً في هذا الموضوع، وذلك لأن ما يشغل ذهني وذهن العقلاء من المسلمين اليوم هو ما نحن فيه من أمور عصيبة، ولكن ماذا عسانا أن نفعل مع قلوب أوصدت وما زالت تُصِرُّ على أن الاحتفال بالمولد بدعة؛ لأنه لم يرد عن السلف، وها أنا ذا قد نقلت بعضاً من أقوال وأفعال السلف والخلف فيما قيل في المولد الشريف على صاحبه أفضل صلاة وأزكى تشريف، **ولله درُّ القائل:**

مــــدحُ الرســـولِ عبـــادةٌ وتقـــرُّبُ

للهِ فاســـعَوْا بالمـــدائحِ واطرَبُـــوا

بِمدحِـــهِ تـــنزِلُ الـــبركاتُ جَمَّـــةً

وبمدحِـــهِ مُـــرُّ الحنـــاجِرِ يعـــذُبُ

وَولادةُ المختـــارِ شـــمسٌ أشرقـــتْ

لكنَّهـــا ليسَـــتْ مســـاءً تغـــرُبُ

فائدة (3)

مسألة تخفيف العذاب عن أبي لهب

قال الحافظ العراقي في ألفية السيرة النبوية:

ثويبة وهي التي أبـو لهـب	أعتقها وإنه حـين انقلـب
هلكاً رُئي نوماً بشر حيبـة	لكن سُـقي بعتقـه ثويبـة

قال الإمام المناوي في كتابه العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية"[1]:

ولما مات أبو لهب رئي في المنام بشر حيبة أي حاله لكنه سقي في جهنم في مثل النقرة وهي ما بين السبابة والإبهام جزاء بعتقه ثويبة لما بشرته بولادة المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

1- طبع هذا الكتاب في مطابع دار المشاريع، وجاء في الكتاب صفحة 18 ...مات شافعي الزمان رحمه الله، وفي صفحة 22 قال الناظم رحمه الله تعالى.

قال قاضي القضاة شيخ القراء والمقرئين الحافظ الإمام ابن الجزري الشافعي، في كتابه عرف التعريف بالمولد الشريف:

وأتت ثويبة جارية أبي لهب عمه إليه، فبشرته بأنه قد ولد لأخيه عبد الله غلام، فأعتقها في الحال تلك الليلة ثم جعلها ترضعه بعد ولادته أياماً، وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين، وأمص من بين أصبعي هاتين ماءً بقدر هذا، وأشار إلى رأس أصبعه، وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وبإرضاعها له، قلت: وقد بلغنا معنى هذا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

نكتة: إذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ به، فما حال المسلم الموحد من أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الذي يسر بمولده ويبذل ما

تصل إليه قدرته في محبته عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؟ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله تعالى الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم.

قال ابن حجر في فتح الباري:

ذكر السهيلي أن العباس قال: لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال فقال ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين قال وذلك أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة بشرت أبا لهب بمولده فأعتقها، قوله بشر حيبة بكسر المهملة وسكون التحتانية بعدها موحدة أي سوء حال وقال ابن فارس أصلها الحوبة وهي المسكنة والحاجة فالياء في حيبة منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها ووقع في شرح السنة للبغوي بفتح الحاء ووقع عند المستملي بفتح الخاء المعجمة أي في حالة خائبة من كل خير وقال ابن الجوزي هو تصحيف وقال القرطبي يروى بالمعجمة ووجدته في نسخة معتمدة بكسر المهملة وهو المعروف وحكى في المشارق عن رواية المستملي بالجيم ولا أظنه إلا تصحيفاً وهو تصحيف كما قال، قوله ماذا لقيت أي بعد الموت قوله

لم ألق بعدكم غير أني كذا في الأصول بحذف المفعول وفي رواية الإسماعيلي لم ألق بعدكم رخاء وعند عبد الرزاق عن معمر عن الزهري لم ألق بعدكم راحة قال بن بطال سقط المفعول من رواية البخاري ولا يستقيم الكلام إلا به، قوله غير أني سقيت في هذه كذا في الأصول بالحذف أيضاً ووقع في رواية عبد الرزاق المذكورة وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه وفي رواية الإسماعيلي المذكورة وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع وللبيهقي في الدلائل من طريق كذا مثله بلفظ يعني النقرة إلخ وفي ذلك إشارة إلى حقارة ما سقي من الماء، قوله بعتاقتي بفتح العين في رواية عبد الرزاق بعتقي وهو أوجه والوجه الأولى أن يقول بإعتاقي لأن المراد التخليص من الرق وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة لكنه مخالف لظاهر القرآن قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾"الفرقان:23" وأجيب أولاً بأن الخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به وعلى تقدير أن يكون موصولاً فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه ولعل الذي

رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يحتج به، وثانياً على تقدير القبول فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مخصوصاً من ذلك بدليل قصة أبي طالب كما تقدم أنه خفف عنه فنقل من الغمرات إلى الضحضاح وقال البيهقي ما ورد من بطلان الخير للكفار فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلص من النار ولا دخول الجنة ويجوز أن يخفف عنهم من العذاب الذي يستوجبونه على ما ارتكبوه من الجرائم سوى الكفر بما عملوه من الخيرات وأما عياض فقال انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب وإن كان بعضهم أشد عذاباً من بعض قلت وهذا لا يرد الاحتمال الذي ذكره البيهقي فإن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر وأما ذنب غير الكفر فما المانع من تخفيفه وقال القرطبي هذا التخفيف خاص بهذا وبمن ورد النص فيه وقال ابن الْمُنِيرِ في الحاشية هنا قضيتان إحداهما محال وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح وهذا مفقود من الكافر الثانية إثابة

الكافر على بعض الأعمال تفضلاً من الله تعالى وهذا لا يحيله العقل فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبي لهب لثويبة قربة معتبرة ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء كما تفضل على أبي طالب والمتبع في ذلك التوقيف نفياً وإثباتاً قلت وتتمة هذا أن يقع التفضل المذكور إكراماً لمن وقع من الكافر البر له ونحو ذلك والله أعلم.

قال بدر الدين العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري:

قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة، قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم، غير أني سقيت في هاذه بعتاقتي ثويبة.

قوله: أريه بضم الهمزة وكسر الراء على صيغة المجهول، أي: رأى أبا لهب بعض أهله في المنام. قوله: بشر حيبة، بكسر الحاء المهملة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة أي: على أسوء حالة، يقال: بات الرجل بحيبة سوء أي: بحالة رديئة، وقال ابن الأثير: الحيبة والحوبة الهم والحزن، ووقع في شرح السنة للبغوي بفتح الحاء، ووقع

عند المستملي بفتح الخاء المعجمة، أي: في حالة خائبة من كل خير، وقال ابن الجوزي: هو تصحيف، قلت: هذا أقرب من جهة المعنى ولهذا قال القرطبي: يروي بالمعجمة، وحكى في المشارق بالجيم في رواية المستملي، ولا أظنه إلا تصحيفاً، قوله: ماذا لقيت، أي: قال الرائي لأبي لهب: ماذا لقيت بعد موتك؟ قوله: لم ألق بعدكم، كذا في الأصول بحذف المفعول، وعند عبد الرزاق عن معمر عن الزهري: لم ألق بعدكم راحة، وقال ابن بطال: سقط المفعول من رواية البخاري، ولا يستقيم الكلام إلا به، قوله: سقيت، على صيغة المجهول، قوله: في هذه، كلمة: هذه إشارة، ولم يبين المشار إليه وبينه عبد الرزاق في روايته بالإشارة إلى النقرة التي بين الإبهام والمسبحة، وفي رواية الإسماعيلي: وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع، وحاصل المعنى إشارة إلى حقارة ما سقى من الماء، وقال القرطبي: سقي نقطة من ماء في جهنم بسبب ذلك، قال: وذلك أنه جاء في الصحيح أنه رئي في النوم فقيل له: ما فعل ربك هناك؟ فقال: سقيت مثل هذه، وأشار إلى ظفر إبهامه، قوله: بعتاقتي، أي: بسبب

عتاقتي ثويبة، وعتاقة بفتح العين، وفي رواية عبد الرزاق: بعتقي، وقال بعضهم: وهو أوجه، والوجه أن يقول: بإعتاقي لأن المراد التخلص من الرق، قلت: هذا القائل أخذ ما قاله من كلام الكرماني، فإنه قال: فإن قلت: معناه التخلص من الرقية، فالصحيح أن يقال: بإعتاقي، قلت: كل من الناقل والمنقول منه لم يحرر كلامه، فإن العتق والعتاقة والعتاق كلها مصادر من عتق العبد، وقول الناقل: وهو أوجه، غير موجه، لأن العتق والعتاقة واحد في المعنى، فكيف يقول العتق أوجه؟ ثم قوله: والأوجه أن يقول: بإعتاقي لأن المراد التخلص من الرق، كلام من ليس له وقوف على كلام القوم، فإن صاحب المغرب قال: العتق الخروج من المملوكية وهو التخلص من الرقية، وقد يقوم العتق مقام الإعتاق الذي هو مصدر أعتقه مولاه، وفي التوضيح: وفيه أي: وفي هذا الحديث من الفقه أن الكافر قد يعطى عوضاً من أعماله التي يكون منها قربة لأهل الإيمان بالله، كما في حق أبي طالب، غير أن التخفيف عن أبي لهب أقل من التخفيف عن أبي طالب، وذلك لنصرة أبي طالب لرسول

الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وحياطته له وعداوة أبي لهب له، وقال ابن بطال: وصح قول من تأول في معنى الحديث الذي جاء عن الله تعالى: إن رحمته سبقت غضبه، إن رحمته لا تنقطع عن أهل النار المخلدين فيها، إذ في قدرته أن يخلق لهم عذاباً يكون عذاب النار لأهلها رحمةً وتخفيفاً بالإضافة إلى ذلك العذاب ومذهب المحققين أن الكافر لا يخفف عنه العذاب بسبب حسناته في الدنيا، بل يوسع عليه بها في دنياه، وقال القاضي عياض: انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، ولكن بعضهم أشد عذاباً بحسب جرائمهم، وقال الكرماني: لا ينفع الكافر العمل الصالح، إذ الرؤيا ليست بدليل، وعلي تقدير التسليم يحتمل أن يكون العمل الصالح والخير الذي يتعلق لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مخصوصاً، كما أن أبا طالب أيضا ينتفع بتخفيف العذاب، وذكر السهيلي أن العباس، رضي الله تعالى عنه، قال: لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال، فقال: ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عني كل

يوم اثنين، قال: وذلك أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة بشرت أبا لهب بمولده فأعتقها، ويقال: إن قول عروة لما مات أبو لهب: أريه بعض أهله إلى آخره خبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به، وعلى تقدير أن يكون موصولاً فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه، ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد، فلا يحتج به، وأجيب ثانياً: على تقدير القبول، يحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مخصوصاً من ذلك بدليل قصة أبي طالب حيث خفف عنه، فنقل من الغمرات إلى الضحضاح، وقال القرطبي: هذا التخفيف خاص بهذا وبمن ورد النص فيه، والله أعلم.

قال القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:

وثويبة المذكورة مولاة لأبي لهب واختلف في إسلامها قال أبو نعيم لا نعلم أحداً ذكر إسلامها غير ابن منده، كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، معطوف على أعتقها وظاهره أن عتقه لها كان قبل إرضاعها والذي في السير أن أبا لهب أعتقها قبيل

الهجرة وذلك بعد الإرضاع بدهر طويل، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله، في المنام قيل هو العباس، بشرّ حيبة، بكسر الحاء المهملة وبعد التحية الساكنة موحدة والباء في بشر باء المصاحبة وهي باء الحال أي متلبساً بسوء حال أو كائناً به وهذه الرؤية حلمية فتتعدّى إلى مفعولين كالعلمية عند ابن مالك وموافقيه فبعض المرفوع قائم مقام المفعول الأول والثاني المتصل به، وقيل يتعدى لواحد فيكون تعدّيه هنا إلى اثنين بالنقل بالهمزة ولا بد من تقدير في المنام وحذف للعلم به والجملة معترضة لا محل لها من الإعراب وعند المستملي كما قال في الفتح خيبة بفتح الخاء المعجمة أي في حالة خائبة من كل خير وعزاها في الفرع كأصله لغير الحموي والمستملي، (قال) ولأبي ذر فقال (له) الرائي: ماذا لقيت؟ بعد الموت، قال أبو لهب: لم ألق بعدكم خيراً، كذا في الفرع بإثبات المفعول. وقال في الفتح: إنه بحذفه في الأصول، قلت: والذي في اليونينية هو الحذف، وقال ابن بطال: سقط المفعول من رواية البخاري ولا يستقيم الكلام إلا به، وفي رواية الإسماعيلي لم ألق بعد رخاء ولعبد

الرزاق عن معمر عن الزهري لم ألق بعدكم راحة، غير أني سقيت، بضم السين مبنيّاً للمفعول، في هذه، زاد عبد الرزاق وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه وغير نصب على الاستثناء، بعتاقتي ثويبة، بفتح العين مصدر عتق يقال عتق يعتق بالكسر عتقاً وعتاقاً وعتاقة والمصدر هنا مضاف إلى الفاعل وثويبة مفعول للمصدر وفي رواية عبد الرزاق بعتقي.

قال في الفتح: وهو أوجه والوجه أن يقول بإعتاقي لأن المراد التخلص من الرقّ انتهى.

وتعقبه العيني فقال: هذا أخذه من كلام الكرماني فإنه قال: معناه التخلص من الرقيّة فالصحيح أن يقال بإعتاقي قال: وكلٌّ منهما لم يحرر كلامه فإن العتق والعتاقة والعتاق كلها مصادر من عتق العبد وقوله وهو أوجه غير موجه لأن العتق والعتاقة واحد في المعنى فكيف يقول: العتق أوجه؟ ثم قوله: والوجه أن يقول بإعتاقي لأن المراد التخلص من الرقّ كلام من ليس له وقوف على كلام القوم فإن صاحب المغرب قال: العتق الخروج من المملوكية وهو التخلص من

الرقية وقد تقدم أن العتق يقوم مقام الإعتاق الذي هو مصدر أعتقه مولاه انتهى.

واستدلّ بهذا على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة وهو مردود بظاهر قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾"الفرقان:23" لا سيما والخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدّثه به وعلى تقدير أن يكون موصولاً فلا يحتج به إذ هو رؤيا منام لا يثبت به حكم شرعي لكن يحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مخصوصاً من ذلك بدليل التخفيف عن أبي طالب المروي في الصحيح والله أعلم.

وقال القسطلاني أيضاً في المواهب اللدنية:

وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه خفف عنى كل ليلة اثنين، وأمص من بين أصبعي هاتين ماء، وأشار برأس أصبعيه وأن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وبإرضاعها له.

قال المتقي الهندي في كنز العمال:

وكانت ثويبة مولاة لأبي لهب كان أبو لهب أعتقها فأرضعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فلما رآه بعض أهله في النوم، فقال: ماذا لقيت، قال أبو لهب: لم ألق بعدكم راحة غير أني سقيت في هذه مني بعتقي ثويبة وأشار إلى النقرة التي تلي الإبهام والتي تليها.

قال الخفاجي في نسيم الرياض:

وكان أبو لهب أعتقها لما بشرته بولادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ورئى في المنام وهو يقول خفف عني العذاب بإعتاقي ثويبة لما بشرتني به وفي السير أنه أعتقها قبل ولادته بوقت طويل وهو المروي في غير السير وفي المواهب ما يخالفه والذي رآه في المنام بشر حيبة بفتح الحاء المهملة أو بكسرها وياء مثناة تحتية وباء موحدة وقيل أنه بخاء معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف أي بسوء حال فهو من الحوبة وهي المسكنة والحاجة قالوا وانقلبت ياء لانكسار ما قبلها أو على خلاف القياس وتخفيف عذابه بسبب ما ذكر لا يعارض قوله تعالى في إعمال الكفرة ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾"الفرقان:23" لأنه بعد

الحشر أو لأنه لما لم ينجهم من النار فكأنه لم يفدهم أصلاً وتفصيله في حواشينا على القاضي.

قال الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية:

أعتقها أبو لهب حين بشرته بولادته عَلَيْهِ السَّلَامُ على الصحيح، فقالت له: أشعرت أن آمنة قد ولدت غلاماً لأخيك عبد الله، فقال لها: اذهبي فأنت حرة، كما في الروض، وقيل: إنما أعتقها بعد الهجرة، قال الشامي: وهو ضعيف، والجمع بأنه أعتقها حينئذ ولم يظهره إلا بعد الهجرة مما لا يسمع فإنه لما هاجر كان عدواً، فلا يتأتى منه إظهاراً أنه كان فرح بولادته وأيضاً فالقائل بالثاني لا يقول: إنه أعتقها للبشارة بالولادة، وقد روي أنه أعتقها قبل ولادته بدهر طويل.

وقد رؤي، بالبناء للمفعول، أبو لهب بعد موته في النوم، والرائي له أخوه العباس بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر ذكره السهيلي وغيره، فقيل له: ما حالك؟ قال: في النار، إلا أنه خفف عني، بعض العذاب بسبب ما أسقاه من الماء، كل ليلة اثنين، وذلك أني، أمص،

بفتح الميم أفصح من ضمها من بابي تعب وقتل؛ كما في المصباح. ومن بين أصبعي هاتين ماء، والظاهر أنهما السبابة والإبهام وحكمة تخصيصهما إشارته لها بالعتق بهما، وحملناه على أن التخفيف بسبب الماء ليلتئم مع ما رواه البخاري وعبد الرزاق الإسماعيلي عن قتادة أن ثويبة مولاة أبي لهب: كان أبو لهب أعتقها، فأرضعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشرحيبة، فقال: ماذا لقيت؟ قال: لم ألق بعدكم، زاد عبد الرزاق: راحة. ولفظ الإسماعيلي: رخاء. قال ابن بطال: سقط المفعول من جميع رواة البخاري، ولا يستقيم إلا به غير أني سقيت في هذه، زاد عبد الرزاق وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه، بعتاقتي ثويبة حبيبة بحاء مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وموحدة مفتوحة أي: سوء حال وأصلها حوبة، وهي المسكنة والحاجة قلبت واوها ياء لانكسار ما قبلها. وذكر البغوي: أنها بفتح الحاء، وللمستملي بخاء معجمة مفتوحة، أي: في حالة خائبة، وقال ابن الجوزي: أنه تصحيف وروي بالجيم، قال السيوطي: وهو تصحيف باتفاق.

وأشار أبو لهب إلى تقليل ما يسقاه برأس أصبعه إلى النقرة التي تحت إبهامه؛ كما مر في رواية عبد الرزاق، قال ابن بطال: يعني أن الله سقاه ماء في مقدار نقرة إبهامه لأجل عتقها، وقال غيره: أراد بالنقرة التي بين إبهامه وسبابته إذ مد إبهامه فصار بينهما نقرة يسقى من الماء بقدر ما تسعه تلك النقرة، وبهذا علم أن النقرة التي أشار إليها على صورة خلقته في الدنيا، لا على صورة الكفار في جهنم، والمراد بقوله: سقيت من الماء، أنه وصل إلى جوفه بسبب ما يمصه من أصابعه، لا أنه يؤتى له به من خارج جمعاً بين الروايتين، وقد تعسف من قال: ما يسقاه ليسمن الجنة؛ لأن الله حرمها على الكافرين، فإنه لا يتوهم أحد أنه من الجنة سواء قلنا أنه يسقى مما يمصه أو يؤتى له به من خارج حتى ينص عليه.

و أشار إلى أن ذلك بإعتاقي لثويبة وتقدمت رواية الجماعة بعتاقتي بفتح العين، قال في شرح العمدة: عبر به دون إعتاق وإن كان هو المناسب؛ لأنها أثره فلذا أضافها إلى نفسه، وعلى نقل المصنف فمعنى الإضافة ظاهر؛ لأن الإعتاق فعله والعتاقة أثر يترتب عليه، حين

بشرتني بولادة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وبإرضاعها له أي: بأمره فلا يرد أنه ليس فعله حتى يجازى عليه، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ "الفرقان: 23"، لأنه لما لم ينجهم من النار ويدخلهم الجنة، كأنه لم يفدهم أصلاً؛ كما أشار إليه البيهقي أو لأنه هباء بعد الحشر، وهذا قبله. وقال السهيلي: هذا النفع إنما هو نقصان من العذاب، وإلا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف، أي: لا يجده في ميزانه ولا يدخل به الجنة، انتهى، وجوز الحافظ تخفيف عذاب غير الكفر بما عملوه من الخير بناء على أنهم مخاطبون بالفروع، وفي التوشيح قيل هذا خاص به إكراماً للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، كما خفف عن أبي طالب بسببه، وقيل: لا مانع من تخفيف العذاب عن كل كافر عمل خيراً.

قال ابن عجيبة في البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:

يقول الحق جلّ جلاله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ﴾"فاطر:36"، يُخلدون فيها، ﴿لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾"فاطر:36" أي: لا يحكم بموت ثان فيستريحوا، ﴿وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها﴾ "فاطر:36"

ساعة، بل كلما خبت زِيد إسعارها، وهذا مثل قوله: لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ، وذكر عياض انعقاد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يُثابون عليها ولا تخفيف عذاب، وقد ورد في الصحيح سؤال عائشة عن ابن جدعان، وأنه كان يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل ذلك نافعُه، فقال عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: (لا، فإنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يومَ الدين)، ثم قال عياض: ولكن بعضهم يكون أشد عذاباً، بحسب جرائمهم.

وذكر أبو بكر البيهقي: أنه يجوز أن يراد بما ورد في الآيات والأخبار من بطلان خيرات الكفار: أنهم لا يتخلصون بها من النار، ولكن يُخفف عنهم ما يستوجبونه بجناية سوى الكفر، ودافعه المازري. قال شارح الصغاني بعد هذا النقل: وعلى ما قاله عياض، فما ورد في أبي طالب من النفع بشفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، بسبب ذبِّه عنه ونصرته له، مختص به ا.هـ. ويرد عليه ما ورد من التخفيف في حاتم بكرمه، فالظاهر ما قاله البيهقي والله أعلم.

ومثل ما قاله في أبي طالب، قيل في انتفاع أبي لهب بعتق ثويبة، كما في الصحيح.

والحاصل: أن التخفيف يقع في بعض الكفار، لبره في الدنيا، تفضلاً منه تعالى، لا في مقابلة عملهم لعدم شرط قبوله.

قال النبهاني في الأنوار المحمدية مختصر المواهب اللدنية للقسطلاني: وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال في النار إلا أنه خفف عنى في كل ليلة اثنين وأمص من بين إصبعي هاتين ماء وأشار برأس إصبعيه وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وبإرضاعها له.

وفي ختام هذه المسألة قد كنا أمناء على نقل ما قيل بهذا الموضوع بغض النظر عن قولنا فيه والناس اثنان ناقل وقائل.

والله ورسوله أعلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللَّهُمَّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

إصدار



المركز الوطني للبحوث والدراسات

التابع لآل البيت ـ فلسطين

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps